



المسالك اللغوية المساعدة على الدراسة البيانية للنص القرآني *Linguistic paths that help the graphic study of the Quranic text*

علي زواري أحمد *

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

جامعة الوادي (الجزائر)

zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2024/11/15

تاريخ القبول: 2024/10/26

تاريخ الاستلام: 2023/09/13

ملخص:

موضوعنا يتعلق بنوع من الدراسات القرآنية الحديثة، ألا وهي الدراسة البيانية، وقد ارتأينا أن يكون حول المسالك اللغوية للدراسة، وتكمن أهميته في تنوير الدارسين للنص القرآني بأهم المسالك المطلوبة للدراسة البيانية، والهدف هو مساعدة الطلبة والباحثين في رسم الطريق الذي يمكن أن يسلكوه في دراساتهم البيانية، وعليه تكمن إشكالية البحث في بيان أهم المسالك اللغوية المساعدة في مجال الدراسات البيانية القرآنية، ولعالجتها أعطينا بعض المفاهيم المتعلقة بالنص القرآني والدراسة البيانية؛ وتطرّقنا لأهم المسالك اللغوية، وفي الخاتمة سجّلنا بعض النتائج، منها: أنّ الدراسة البيانية المتعلقة بالنص القرآني يجب أن تكون خاضعة للغة؛ ومراعية لخصوصيات النص القرآني، فما على الباحث إلا أن يتزوّد بعلوم اللغة المختلفة، فالدراسة البيانية هي بيان لما يُوحى به النصّ الموحى من معاني ودلالات يمكن أن نستكشفها من خلال الدراسة البيانية، وليس مجرد نصّ تراثي يمكن أن نخمّن فيه على وفق أفكارنا وتصوّراتنا.

الكلمات المفتاحية: المسالك اللغوية؛ الدراسة البيانية؛ النصّ القرآني؛ نموذجاً قرآنياً.

Abstract :

Our topic is related to a type of modern Quranic studies, namely the graphic study, and we have decided that it should be about the linguistic paths of the study, and its importance lies in enlightening students of the Quranic text with the most important paths required for graphic study, and the goal is to help students and researchers in drawing the path that they can take in their graphic studies, and therefore the problem of research lies in the statement of the most important linguistic paths to help in the field of Quranic graphic studies, and to address them we gave some concepts related to the Quranic text and graphic study; We touched on the most important linguistic paths, and in the conclusion we recorded some results, including: The graphic study related to the Quranic text must be subject to the language and take into account the specifics of the Quranic text, so the researcher only has to be equipped with different language sciences, as the graphic study is a statement of what the

* المؤلف المراسل.

inspired text suggests of the meanings and connotations that we can explore through the graphic study, and not just a heritage text in which we can guess according to our ideas and perceptions.

Keywords: Linguistic paths, graphic study, Quranic text, Quranic model.

1. مقدمة

من أهم الدراسات اللغوية القرآنية الحديثة؛ هي الدراسة البيانية، التي أصبحت وجهة للعديد من الباحثين في المجال القرآني، وذلك قصد استنطاق البنية العميقة للنص القرآني، وما تستوحيه من دلالات وإشارات لغوية تثري النص وتوسع من استعمالاته اللغوية، وتلك القراءات منها ما يتبع أصحابها المسالك اللغوية السديدة التي تحتملها اللغة وتتلاءم وخصوصيات النص القرآني، ومنها بخلاف ذلك، بحيث يخضعها الباحث لتصوراته أو لمناهجه التي يعتمد عليها في دراسته للنص القرآني، وإن أدى به ذلك للتعسف في استنطاق دلالات النص القرآني.

كما أن بعض الباحثين – وخاصة الطلبة والمبتدئين في البحث اللغوي – قد لا يعرفون كيفية التعامل مع النص القرآني من خلال دراساتهم البيانية لبعض مقاطع النص القرآني، الشيء الذي يجعلهم في حيرة من أمرهم، بحيث تجددهم يُقلّبون المراجع وكتب التفسير و...، ويبحثون عن دراسات سابقة شبيهة بدراساتهم، أو متعلقة بالنص المدروس لعلمهم يظفرون ببعض التوجيهات أو التوافذ التي يدخلون منها لدراساتهم البيانية.

ونظرا لكل هذا فقد جاءت فكرة بحثنا لمعالجة هذا الأمر، لنضع من خلالها بعض المسالك اللغوية التي تساعد الباحثين في الدراسات البيانية المتعلقة بالنص القرآني، وقد وسمنا بحثنا بـ "المسالك اللغوية المساعدة على الدراسة البيانية للنص القرآني".

أهمية البحث

ولهذا تكمن أهمية البحث في تنوير عموم الدارسين للنص القرآني بأهم المسالك اللغوية التي يمكن الاستعانة بها في الدراسة البيانية، وأن القضية ليست مجرد تحليل غير منضبط ولا يخضع لمسالك ترشده، بل هو نص لغوي قرآني لا بدّ له من الضوابط اللغوية ومراعاة الخصوصيات القرآنية.

هدف البحث

الباحث يسعى من وراء البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:
- مساعدة الطلبة في مجال دراساتهم اللغوية، بحيث يرسم لهم الطريق الذي يمكن أن يسلكوه في دراساتهم البيانية، وخاصة أصحاب تخصص اللغة الذين يجعلون من النص القرآني مادة لدراساتهم، وكذا تخصصات الدراسات القرآنية.

- تنوير الباحثين المبتدئين بأهم المسالك التي يمكن أن يعتمدوا عليها ويراعوها في بحوثهم اللغوية لتيسير وتسهيل عملية الدراسة البيانية المتعلقة بالنص القرآني الكريم.
- وضع مسالك تُرشّد الدراسات اللغوية عموماً، والدراسات البيانية القرآنية على سبيل الخصوص، حيث لا نكاد نجد دراسات تتعلّق بهذا الأمر، يعتمدها الطلاب والباحثون المبتدئون لتنير سبيلهم في دراساتهم البيانية المتعلقة بالنص القرآني.
- الدّعوة للكتابة في هذا الموضوع من طرف الباحثين المتخصّصين القادرين، حتّى يعطونا ثمرة جهودهم، وخلاصة خبراتهم البحثية في هذا الميدان، شريطة أن تكون بلغة قاصدة، وميسورة لا تعقيد فيها ولا تكلف، تتماشى ومنهجية الدراسات الحديثة.

إشكالية البحث

ومما ذكرنا يتّضح لنا أنّ إشكالية البحث تكمن في بيان أهم المسالك اللغوية المساعدة للباحثين والطلّبة والمبتدئين في مجال الدراسات البيانية المتعلقة بالنص القرآني.

خطة البحث

ولمعالجة الموضوع فقد التمسنا جملة من العناصر التي تشكّل أهم المسالك للبحث في الدراسات البيانية القرآنية، وهي:

- مقدّمة؛

- مفاهيم متعلّقة بالنص القرآني والدراسة البيانية؛

- مسلك مراعاة المناسبة بين الآيات؛

- مسلك مراعاة السياقات القرآنية؛

- مسلك تحري الاستعمالات القرآنية؛

- مسلك البحث عن معاني الصّيغ ذي البعد النّحويّ للكلمات؛

- مسلك البحث عن المعنى النّحويّ للكلمات؛

- مسلك البحث عن الوظائف النّحويّة للتركيب؛

- مسلك معرفة الأسلوب البلاغيّ الذي وظّفه القرآن؛

- الخاتمة، وفيها ملخّص للبحث مع رصد أهم النتائج المتوصّل إليها.

2. مفاهيم متعلّقة بالنص القرآني والدراسة البيانية

قبل تفصيل مسالك البحث نوّد التحدّث عن بعض المفاهيم المتعلّقة بالنص القرآني، وبعض القضايا المتعلّقة بالدراسة البيانية، نجملها في النقاط التّالية:

أولاً - النصّ القرآنيّ له خصوصياته التي ترتبط به وبمصطلحاته واستعمالاته،... التي لا يمكن تجاهلها ولا تغافلها ولا تجاوزها في بيان الدّلالة القرآنية، كأسباب التّزول، وبيان القرآن للقرآن، والبيان

النَّبويّ للقرآن،... وذلكم كون النصّ القرآنيّ نصّ موحى يراد منه الهداية، ويحمل مع ذلك من الغبيّات والأخبار والتشريعات والأحكام، وفيه من المحكمات والمتشابهات، والقطعيّات والظنّيّات وغيرها من الأمور والقضايا التي تخضع لخصوصيّات الوحي الكريم.

ثانياً - النصّ القرآنيّ نصّ لغويّ، كما جاء ذلك في العديد من آياته، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾²، وعليه لا بدّ في فهمه وبيان دلالاته من اللّغة التي نزل بها، سواء من حيث تراكيبها أو أساليبها أو وظائفها أو صيغها ومفرداتها... ولا يمكن حمله على غيرها إلّا في حدود ما تسمح به اللّغة التي نزل بها.

ثالثاً - النصّ القرآنيّ نصّ موحى له قداسته كونه كلام الله تعالى، فهو معجز ومتحدّى بأقصر آية منه، حيث لا يمكن مجاراته، ولا الإتيان بمثله، كما أنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهو وإن كان نصّاً لغويّاً فهو ليس كغيره من النصوص البشريّة التي يعتريها الخطأ والنقصان، ويلحقها التصويب والتّقد، فكلّ بيان له فهو كشف لبيان مراد الله تعالى، فإن كان صواباً فهو كذلك، وإن لم يكن صواباً فالنصّ القرآنيّ منه براء.

رابعا - الدّراسة البيانيّة تعتمد بالدرجة الأولى والأساسيّة على اللّغة، ولهذا لا بدّ وأن تكون معتمدة على اللّغة، وليس بالضرورة أن تكون كلّ دراسة بيانيّة مشابهة لغيرها في الخطوات المتبعة، فتلك قضية ترجع لنوع الدّراسة البيانيّة، لكنّ الدّراسات البيانيّة في مجملها يجب أن تكون خاضعة للمسالك اللّغويّة، التي يتعامل بها الباحث مع النصّ اللّغويّ عموماً والنصّ القرآنيّ على سبيل الخصوص، نظراً لكون القرآن الكريم له خصوصيّاته اللّغويّة التي تحتّم على الباحث مراعاتها والنظر إليها عند الخوض في دراسة نصّ قرآنيّ دراسة لغويّة بيانيّة.

خامساً - أنّ المسالك التي سنذكرها ليست هي كلّ المسالك، وإنّما ركّزنا على المهمّ منها والتي لا يمكن للباحث أن يغفلها في دراسته البيانيّة للنصّ القرآنيّ، كما أنّ تلك المسالك ليست خاضعة لترتيب معين حتّى تكون سبيلاً لا يمكن التّقديم فيه ولا التّأخير، وإنّما هي مسالك تكون حاضرة في قريحة المحلّل البيانيّ عند تحليل النصّ القرآنيّ فيستعملها بحسب الحاجة إليها في دراسته البيانيّة.

سادساً - من لهم الخبرة والدّربة والمكنة اللّغويّة يوظّفون هذه المسالك - وغيرها - في دراساتهم البيانيّة بتلقائيّة، ومن غير ذكر لها، ولا حتّى الإشارة إليها في بعض الأحيان، كونها منقذة في أذهانهم يوظّفونها حسب المقام الذي هم فيه، ويكتشفها الممارس من خلال كلامهم وطريقتهم في البيان. وكلّ هذا الذي ذكرناه في هذا التّمهيد سيّتضح لنا من خلال عرض المسالك التي ذكرناها في المقدّمة، والتي سنبدأ الحديث عنها فيما يلي:

¹ - يوسف: 2.

² - الشعراء: 193 - 195.

3. مسلك مراعاة المناسبة بين الآيات

من المسالك التي تعين الباحث على تحديد المعنى المناسب للتركيب من خلال النص القرآني هو مراعاة المناسبة بين الآيات، فالنص القرآني نص مترابط ويشكل بنيات متلاحمة، وإن كان لكل بنية منها دلالتها، فهي في مجموعها تبلور دلالة مشتركة ومتلائمة ومنسجمة للبنيات مجتمعة، وكأنها غرف في بيت واحد، وهذا ما سمّاه العلماء بالمناسبة.

يقول عنها السيوطي: «المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»¹.

ولهذا عرّف التناسب بأنه: «وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة»².

بمعنى مناسبة ارتباط الآية بما قبلها وما بعدها، ومناسبتها لموضوع السورة كلّها، كلّ ذلك يحدّد دلالة التركيب المختار أو أوليته عن غيره من الدلالات الممكنة، ممّا قد يكون شبيهه أو مرادفه، ولهذا فحين يقف الدارس على هذا الارتباط فإنه يساعد في إيضاح وبيان المعنى البياني من خلال النص الذي بين يديه.

ويمكن للباحث أن يستعين على هذا الجانب بالكتب التي تعني بالتناسب، مثل كتاب البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر الغرناطي، وكتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي بكر البقاعي، وكتاب تناسق الدرر في تناسب السور، وكتاب مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع؛ بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها كلاهما لجلال الدين السيوطي، وكتاب جواهر البيان في تناسب سور القرآن لعبد الله الغماري، وكتاب مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور لأبي العلاء عادل بن محمد، وكتاب التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم لفاضل السامرائي، وكتاب قواعد العناق لمعرفة ما بين الآيات من التناسب والاشتياق لعبدان عبد القادر، وكتاب الترتيب والتناسب في آيات القرآن وسورة ودلالات الإعجاز لمحمد رأفت سعيد، وكتاب حصول المأمول في بيان تناسب السور حسب ترتيب النزول لمحمد بن أحمد رفيق، ... وغيرها.

كما يمكن أن يساعد الباحث في هذا الجانب كتب التفسير؛ وخاصة ما يتعرّض منها للمناسبة، فتجدهم يذكرون المناسبة بين الآية والتي قبلها والتي بعدها، والمناسبة بين الآيات؛ ما قبلها وما بعدها، والمناسبة بين السورة والتي قبلها والتي بعدها، وأغلب التفسيرات المعاصرة أصبحت تهتم بهذا الجانب، فهي تُيسّر على الباحث الوصول للمناسبة وتعطيه أفقا يمكن أن ينطلق من خلاله لمعرفة المعنى العام للنص

1 - عبد الرحمن السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 3/371.

2 - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص: 96.

المدرس يستطيع به بناء الدراسة البيانية، وعلى هذا قال الزركشي: «واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول»¹.

ومن تلك التفسيرات: التفسير الكبير للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، واللباب في علم الكتاب لابن عادل، وروح المعاني للألوسي، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا كتاب الله الكريم لأبي السعود، وتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، وتفسير المراغي، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير أولي ما قيل في آيات التنزيل، للخطيب الموصلي، والأساس في التفسير لسعيد حوى، والتفسير المنير لوهبه الزحيلي، وغيرها.

وقبل أن نختم هذا المسلك نعطي نموذجاً قرآنياً على ذلك حتى يتضح كيف أن مسلك مراعاة المناسبة بين الآيات يسهم في إثراء الدراسة البيانية للنص القرآني، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾².

يقول ابن عطية في تفسيره لما وقف عند هذه الآية: «وقال المهدوي: وقيل هذه الآية منتظمة في معنى التي قبلها، أي لا يمنعكم تخريب مسجد من أداء العبادات، فإن المسجد المخصوص للصلاة إن خرب فثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ موجود حيث توليتم»³. ويقصد بالآية التي قبلها، قوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁴.

وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، عند قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾⁵. فهذه الآية من أول سورة الأنبياء، وقد تعرض للمناسبة بينها وبين أواخر سورة طه، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا ... قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾⁶. فقال رحمه الله تعالى: «ومناسبة أول هذه السورة لما قبلها أنه ذكر تعالى حال الأشقياء والسعداء وذكر الفرع الأكبر وهو ما يقول يوم القيامة، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم. نزلت هذه السورة تحذيراً لهم وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة

1 - بدر الدين الزركشي: البرهان، 35/1.

2 - البقرة: 115.

3 - عبد الحق بن عطية: المحزر الوجيز، 200/1.

4 - البقرة: 114.

5 - الأنبياء: 1.

6 - طه: 134 - 135.

السَّاعَة وشِدَّة هولها، وذكر ما أَعَدَّ لمنكرها وتنبئهم على البعث بتطویرهم في خلقهم، وبهمود الأرض واهتزازها بعد بالنبات»¹.

4. مسلك مراعاة السِّياقات القرآنيّة

ومن المسالك المهمّة التي تعين الباحث على تحديد المعنى المناسب للتركيب من خلال النّصّ القرآنيّ هو مراعاة السِّياقات القرآنيّة، فالسِّياق يعين الباحث على تجلية الجوانب البيانيّة من كلّ تركيب قرآنيّ يكون محلاً لدراسته، حيث من خلاله يمكن تحديد الدلالات الممكنة التي تحتلها الكلمات داخل التركيب، يقول أحمد مختار عمر: «دراسة معاني الكلمات تتطلّب تحليلاً للسِّياقات والمواقف التي ترد فيها، حتّى ما كان منها غير لغويّ، ومعنى الكلمة – على هذا – يتعدّل تبعاً لتعدد السِّياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعاً لتوزيعها اللّغويّ»².

وذلكم أنّ التركيب الواحد أو الكلمة الواحدة قد ترد في سياقات مختلفة من خلال التركيب القرآنيّ فيختلف معناها، فسِّياق قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾³. يختلف عن سِّياق قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾⁴. وسِّياق قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁵. تختلف عن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁶.

وهناك الكثير من الكلمات في النّصّ القرآنيّ الفيصل في دلالاتها هو السِّياق الذي وردت فيه، فهو الذي يحدّد معناها، سواء أكان المعنى الوضعيّ أم المعنى المجازي، من ذلك كلمة الأكل تختلف في الاستعمال القرآني حسب السِّياقات المختلفة، وإليك بيانها:

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾⁷.
وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّثْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾⁸.
وفي قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾⁹.
وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾¹⁰.

1 - محمّد أبو حيّان: البحر المحيط، 324/6.

2 - أحمد، عبد الحميد عمر: علم الدلالة، ص: 68.

3 - يس: 20.

4 - القصص: 20.

5 - النحل: 14.

6 - فاطر: 12.

7 - الفرقان: 7.

8 - يوسف: 13.

9 - الحجرات: 12.

10 - النساء: 10.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾¹.

وفي قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾².

وهناك غيرها من الآيات التي ورد فيها لفظ الأكل ومشتقاته، وحسبنا أنه من خلال هذه السياقات اللغوية نلاحظ أن اللفظ واحد ولكن المعاني اختلفت لاختلاف السياق، ففي الأول يراد منه الأكل الحقيقي وهو أكل الطعام، بمعنى تغذية الإنسان، وفي السياق الثاني يراد منه الافتراس، وفي السياق الثالث يراد منه الغيبة. وفي السياق الرابع يراد منه الاختلاس. وفي السياق الخامس يراد منه الإحراق. وفي السياق السادس يراد منه الرعي.

وهناك غير هذا من الكلمات ككلمة القرية، وكلمة المدينة، وكلمة الناس، وكلمة الولاية،... فإنها تختلف حسب السياقات المختلفة، ونماذج هذا كثير في القرآن الكريم، وكتب التفسير والمناسبات تفيد في هذا كثيرا، وهناك مراجع أخرى يمكن أن يستفيد منها الباحث ككتب الموسوعات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، فإنها تعبر هذا الأمر اهتماما كبيرا، ويمكن للباحث الموسوعي أن يستفيد من كتب أصول الفقه كونها تهتم بقضية السياق في استنباط الدلالات التي تنبني عليها الأحكام الشرعية، وفي هذا يقول ابن القيم: «السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ذق إنك أنت العزيز الكريم، كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقيق؟»³.

ولهذا العديد من النصوص القرآنية لا يستقيم معناها، بل ولا يمكن فهمها على حقيقتها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، كآية التي ذكرها ابن القيم في كلامه السابق الذي نقلناه عنه، إذ كيف يبني الدارس دراسته البيانية وهو لا يعري السياق القرآني أهمية في دراسته؟! ويكتفي بالجانب اللغوي المجرد للتركيب من غير مراعاة لارتباطاته السياقية التي هي من خصوصيات التركيب العربي، فلا ريب أن مثل هذا الدارس سيجانبه الصواب في دراسته، وعلى هذا يقول محمد الطاهر بن عاشور: «وسياق الكلام حارس من الفهم المخطئ»⁴.

وكما اعتدنا على نحو ما سبق في المسلك السابق فإنه قبل أن نختم هذا المسلك نعطي نموذجا قرآنيا على ذلك حتى يتضح كيف أن مسلك مراعاة السياقات القرآنية يسهم في إثراء الدراسة البيانية للنص

1 - آل عمران: 183.

2 - الأعراف: 73.

3 - محمد، ابن القيم: بدائع الفوائد، 815/4.

4 - الطاهر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، 83/1.

القرآني، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾¹.

نلاحظ أنّ هذا النصّ القرآنيّ يُحمّل الإنسان وحده الأمانة دون غيره من المخلوقات كالجنّ مثلاً، مع كون الجنّ بنصوص القرآن ذاته مكلفون بالأمانة كالإنسان، ومن تلك النصوص القرآنيّة على تكليفهم، ما جاء في سورة الجنّ، وما جاء في سورة الأحقاف، والسؤال لماذا لم يذكروا هنا في هذا النصّ القرآنيّ من سورة الأحزاب؟

الجواب هو السياق، كيف ذلك؟ عندما نتدبر سورة الأحزاب من أولها لآخرها نجدها تخاطب الإنسان، والحديث فيها موجه للإنسان، سواء بالأمر أو النهي أو التكليف أو العتاب أو غيرها من القضايا المطروحة في السورة والمتعلّقة بالإنسان؛ فالآية الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ والنبيّ إنسان، الآية الثانية: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الخطاب للنبيّ كذلك، الآية الثالثة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، الخطاب للنبيّ، الآية الرابعة: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ﴾ الآية تتحدّث عن الإنسان كذلك، الآية الخامسة: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، الآية السادسة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، الآية السابعة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، الآية الثامنة: ﴿لَيْسَ الْصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، الآية التاسعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾،... الآية الأخيرة: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، فكما نرى كلّها تتحدّث عن الإنسان والخطاب فيها موجه للإنسان، لا تتحدّث عن الجنّ ولا عن غيرهم من الكائنات الحيّة، ولا عن الجنّة ولا عن النار، بل كلّ محورها الحديث للإنسان، فهي سورة الإنسان وإن كان اسمها الأحزاب، بل حتّى الأحزاب هم الإنسان، لذا ناسب ذلك ذكر عرض الأمانة على هذا الإنسان بكلّ ما فيه من صفات وموصفات جاءت في طيّات السورة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

5. مسلك تحري الاستعمالات القرآنيّة

يعتبر مسلك تحري الاستعمالات القرآنيّة من أهمّ المسالك الضابطة للدّراسة البيانيّة في النصّ القرآنيّ - وقد لا يعيره البعض اهتماماً رغم أهمّيّته - وذلك كون القرآن الكريم في نهجه العامّ قد سلك مسالك توظيفيّة تخصّ بعض الكلمات، وبعض الصّيغ، وبعض الأساليب،... بحيث تجدها خطأ واحداً عامّاً في كلّ القرآن الكريم، وحيثما وظّفت فيه.

فتحري الاستعمالات القرآنيّة عند الدّراسة البيانيّة هو من مراعاة خصوصيّات النصّ القرآنيّ في الاستعمال، فمن ذلك على سبيل المثال هناك كلمات تحمل معنى في اللّغة، لكنّ القرآن استعملها على

معناها اللغوي واستعملها كمصطلح شرعي له دلالة الشرعية، وهناك ما استعمله على المعنى الشرعي وحسب، وحمل تلك الكلمات على الدلالة اللغوية وإهمال الشرعية يعتبر تعسفاً في تأويل النص القرآني، ولا يمكن أن يأتي بنتيجة مرضية في الدراسة البيانية.

من ذلك لفظ الصلاة فقد ورد استعماله بمعناه اللغوي في النص القرآني، كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾²، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾³، كما ورد استعماله بمعناه الشرعي، أي الصلاة المعروفة شرعاً بالتكبير والركوع والسجود ... كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾⁶، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾⁷.

فلا بدّ من مراعاة كلّ ذلك، ولا نجعل الدراسة البيانية في النص القرآني دراسة لغوية محضة غير مراعية للاستعمال القرآني، بل إنّ هناك بعض النصوص حدّد الشّارع معانيها ودلالاتها، فلا يحقّ لدارس أن يتغافل ذلك في دراسته البيانية، حتّى لا يقول النصّ ما لا يحتمله، وبذلك يلغي ما حدّده الوحي بذاته، ويتجاهل خصوصيات النصّ الشرعي ومنه النصّ القرآني.

كما أنّه من المعلوم عند الدّراسين للغة القرآن الكريم أنّ الله تعالى استعمل في القرآن بعض التّركيبات بصيغة خاصّة، كما استعمل بعض الكلمات على معاني معيّنة، أي وظّفها القرآن بمعاني معيّنة مع أن توظيفها في اللغة أوسع من ذلك، وهذا حريّ بأن يوجّه دلالات التّركيبات والكلمات من خلال الاستعمال القرآني، وقد تترجّح دلالة على أخرى من خلال ذلك.

فمثلاً - ممّا وقفت عليه - أنّ النصّ القرآني كلّّه لم يستعمل لفظ السّلام بالألف واللام إن كان السّلام من الله تعالى، دوماً يكون نكرة.

ومن الاستعمال القرآني للفظيّ السّماوات والأرض - أو السّماء بالإفراد - أنّه يورد لفظ الأرض مقروناً بالسّماوات في نفس التّركيب في أغلب آيات القرآن الكريم، فتكون السّماوات بالجمع والأرض بالإفراد من غير جمع في كلّ القرآن الكريم.

1 - التوبة: 103.

2 - الأحزاب: 56.

3 - الأحزاب: 43.

4 - البقرة: 3.

5 - البقرة: 43.

6 - البقرة: 177.

7 - النّساء: 43.

كما أنّ القرآن استعمل لفظ الرّيح في الخير، واستعمل لفظ الرّيح في الشرّ، وهو استعمال في كلّ القرآن الكريم، كما أنّ القرآن لم يستعمل لفظ المطر إلّا في الهلاك والعذاب أو الأذى، وفي اللّغة الاستعمال أوسع من ذلك.

كما أنّ الاستعمال القرآني للفظ الشّكر والكفر، تجده دوماً يقدّم الشّكر على الكفر، إلّا في آية واحدة من سورة الزّمر فإنّه قدّم الكفر على الشّكر، وذلك لتناسب السّياق قبل الآية في الحديث عن الكفر، فقدّم الكفر عن الشّكر.

كما أنّ القرآن لم يستعمل لفظ العمل والصنع في مواطن الهلاك أو العقوبة، واستعمل بدلاً من ذلك لفظ الفعل، فهو في الأغلب الدائم يقرنه بالهلاك أو ما يستوجب الهلاك أو العقوبة، سواء نُسب لفظ الفعل إلى الله أو إلى النّاس.

كما أنّ من الاستعمال القرآني عند ذكر العنب والنّخل، أنّه لا يذكر العنب إلّا بالثمرة ولا يذكر شجرتها وهي الكرمة، أمّا في النّخل فلا يذكر ثمرتها وهي التّمرة، بل يذكر الشّجرة ذاتها أيّ النّخلة، وهذا في كلّ الاستعمال القرآني.

ومن الاستعمال القرآني - كذلك - أنّ الله تعالى كلّما جاء بضمير التّعظيم الذي يمثله ضمير الجمع، كنحن وإنّا ونزلنا وأنزلنا وأرسلنا وأعطينا وكتبنا و... إلّا وأتى في سياق ضمير العظمة - قبله أو بعده - بما يدلّ على الأفراد، كربك والله... أو ضمير الفرد الرّاجع لاسم الجلالة، وهكذا هو الأسلوب في كلّ القرآن الكريم.

وبهذا الصّدّد نذكر ما قاله الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين، حيث يقول: «وقد يستخفّ النّاس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها. ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلّا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظّاهر. والنّاس لا يذكرون السّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسّلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السّمع أسماعاً. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقّدون من ألفاظ ما هو أحقّ بالذّكر وأولى بالاستعمال»¹.

فإذا كان الجاحظ يدعو لمراعاة الاستعمال الأمثل لمثل تلك ألفاظ في الاستعمال العاديّ التّواصليّ، فإنّ الباحث أولى بتحري ذلك في دراسته البيانيّة المتعلّقة بالنّصّ القرآنيّ، وعلى كلّ حال فهذه نماذج على الاستعمال القرآنيّ تعدّ على أصابع اليد الواحدة ذكرناه لتّمثيل وغيرها كثير، فما على الباحث في الدّراسة

1 - عمرو بن بحر، الجاحظ: البيان والتّبيين، 41/1.

البيانية إلا تحري مثل تلك الاستعمالات، حتى تكون دراسته مبنية على أساس سليم لا يتناقض ولا يختلف مع الخط الذي رسمه القرآن الكريم، ويستعان على هذا بالكتب التي اهتمت بمفردات القرآن الكريم واستعمالاته للكلمات، كما يمكن أن يستعان بكتب اللطائف القرآنية، وكتب الدراسات البيانية، والموسوعات المختصة بعلوم القرآن، وكتب التفسير؛ وخاصة التي تهتم بالجوانب اللغوية.

ونختتم هذا المسلك بنموذج قرآني يتضح من خلاله كيف أن مسلك تحري الاستعمالات القرآنية يسهم في إثراء الدراسة البيانية للنص القرآني، هذا النموذج يتعلّق بالاستعمال القرآني لفظ المرأة والزّوج. فمن البيان القرآني في استعمال وتوظيف لفظ المرأة والزّوج (أي الزوجة) أن القارئ عندما يتتبع اللفظين في القرآن الكريم يدرك عظمة القرآن وقوة بيانه، وأنه معجز - من الله تعالى - حيث نجده نهج نهجا واحدا في كلّ القرآن الكريم عند استعمال كلّ كلمة منهما.

وبيان ذلك أنه إذا كانت العلاقة بين الزوجين تشوبها شائبة من الشوائب المؤثرة غير الاعتيادية، أو تنقصها حاجة تعكّر صفو العلاقة بينهما كاختلاف المعتقد، أو غياب دور ووظيفة أحد الزوجين أو بينهما خلاف جوهري يضرّ باستمرار الزوجية واستقرارها، أو لم يتم بينهما إنجاب.. وظّف القرآن لفظ المرأة ولم يوظّف لفظ الزوج، وإذا كانت العلاقة بينهما تامة ومكتملة ولا تشوبها شائبة وظّف القرآن لفظ الزوج بدل المرأة.

ففي قصّة زكريا - عليه السلام - لما كانت امرأته عاقرا ذكر القرآن لفظ المرأة، فقال تعالى على لسانه: ﴿وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾¹، وقال: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾². ولما أكرمهما الله بالإنجاب واستقرت حياتهم بذلك، ذكرها القرآن بلفظ الزوج، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾³. وفي نوح ولوط - عليهما السلام - وفي فرعون - أيضا - بسبب اختلاف المعتقد وظّف القرآن لفظ المرأة بدل لفظ الزوج، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ... وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾⁴. وفي حال العلاقة السوية بين الزوجين وظّف القرآن لفظ الزوج، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁵. وقال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁶. وفي حقّ عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾⁷. وفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كانت

1 - مريم: 5.

2 - مريم: 8.

3 - الأنبياء: 90.

4 - النحریم: 10، 11.

5 - البقرة: 35.

6 - الأعراف: 19.

7 - الفرقان: 76.

علاقته مع زوجاته لا تشوبها شائبة تعكّر صفوها ذكر لفظ الزوج بدل المرأة، فقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾¹. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾². ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾³. وهكذا هو نفس الاستعمال في كل المواضع المواضيع من القرآن الكريم، ولذا فمثل هذه المعاني الناتجة عن الاستعمال القرآني تكون أرضية خصبة للباحث في دراسته البيانية لينطلق من خلالها لبلورة فكرته التي يبحث فيها.

6. مسلك البحث عن المعاني المعجمية للكلمات

ومما يستعان به في الدراسة البيانية معرفة المعاني المعجمية للكلمات، وذلك لكون بعض الكلمات تحمل معاني عدة ولا يُفَرَّق بينها إلا الاستعمال، وبعض الكلمات تحمل معناها وتحمل معاني لكلمات أخرى فتنبو عنها، وقد يوظفها النص بغرض ذلك وتكون كل تلك المعاني مقصودة بغرض توسيع الدلالة، كما أنّ بعض الكلمات لها معنى على الحقيقة، ولها معاني أخرى مجازية بحسب الاستعمال، بمعنى لها معنى وضعي تدلّ عليه، ومعاني أخرى في الاستعمال العربي، وبعض الكلمات تحمل المعنى وضده أو ما يرادفه أو يشبهه، حتّى أنّك لتجد بعض الكلمات لا يفهم معناها إلا من خلال وظيفتها داخل التركيب، فمعرفة المعاني المعجمية للكلمات داخل التركيب من الأهمية بمكان في الدراسة البيانية لارتباط ذلك بالمعنى الذي هو من صميمها، ولبّ بناء الجانب البياني فيها.

فما على الباحث إلا أن ينظر للمعاني المعجمية للكلمات محلّ الدراسة، فمن خلالها يدرك الدلالات الممكنة التي تحملها الكلمة في التركيب القرآني، والدلالات الاستعمالية في اللغة الغير ممكنة في التركيب الذي يدرسه، وكلّ ذلك يزود الباحث بجملة من الدلالات الظاهرة في البنية السطحية، وأخرى غير ظاهرة في البنية العميقة، أو بمعنى آخر معرفة الدلالات القريبة والبعيدة التي يمكن أن تؤدّيها الكلمة من خلال الاستعمالات اللغوية التي استخدمتها عليها العرب.

وهنا ننبه الباحث عند بحثه عن الدلالات المعجمية للكلمات الموظفة داخل التركيب، عليه أن يتّبع ثلاث خطوات مهمّة، تجعله يقف على دلالة الكلمة من الوضع إلى التوظيف، الشيء الذي يساعده على بلورة الجانب البياني للنص، وهذه الخطوات هي:

- البحث عن المدلول المعجمي للكلمات المكوّنة للتركيب وفهمها.
- ملاحظة مختلف الدلالات التي تحيل عليها الكلمات المعجمية للتركيب.
- بناء الدلالة الكلية للتركيب من خلال وصف تسلسلاته الدلالية.

1 - الأحزاب: 6.

2 - الأحزاب: 50.

3 - التحريم: 1.

بيان ذلك أنّ الدّارس عندما يبحث عن معاني الكلمات، سيقف على كلّ المعاني المعجميّة التي تُستعمل عليها الكلمات في اللّغة، سواء على الحقيقة أو على المجاز، بهذا يحصل لديه معرفة بالمعاني الممكنة والمعاني غير الممكنة داخل التّركيب الذي بين يديه، كما أنّه من خلال كلّ مكونات التّركيب وسياقه ومناسبته يدرك المعاني المتلائمة فيما بينها، بهذا يتكوّن عنده مجموعة من الدّلالات التي يحتملها النّص المدرّس، ومنها يتمّ توظيفها في بيان الجانب البيانيّ للدراسة.

وأمام الباحث في بحثه عن معاني الكلمات مجموعة من المصادر يمكن أن يستعين بها على ذلك، فيستعين بكتب المعاجم وما أكثرها، كما أنّه يمكنه أن يستعين بكتب فقه اللّغة، وكتب الفروق اللّغويّة، وكتب الأضداد والأشباه والتّرادف،... وغيرها من هذه المصنّفات التي تهتمّ بالجانب الدّلاليّ للكلمات العربيّة، كما يستفيد الباحث كثيرا من تأويلات وتفسيرات المفسرين للآيات المدرّسة، فيعتبر ذلك بمثابة المادّة الأوّليّة لولوج الباحث لدلالات الكلمات، حيث تمهّد له الطّريق لباقي الدّلالات التي لم يذكرها المفسرون، ومن غير أن يكون تأويله شاذّا أو منحرفا عمّا تحتمله اللّغة من تأويلات.

وقبل أن نختم هذا المسلك - وكما فعلنا مع المسالك السّابقة - نعطي نموذجا قرآنيا على ذلك حتّى يتّضح كيف أنّ البحث عن المعاني المعجميّة للكلمات يُسهم في إثراء الدّراسة البيانيّة للنّص القرآنيّ، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾¹.

فعندما نقبّل النّظر في هذا النّص القرآنيّ نجده قد استعمل العديد من الكلمات المعجميّة التي يلاحظها كلّ قارئ وتشدّ انتباهه، وهذه الكلمات لا ريب أنّها مختارة ضمن البنية التّركيبية، وتُسهم في ثراء البناء البيانيّ للنّص، هذه الكلمات هي: (لعب، لهو، زينة، تفاخر، تكاثر، يهيج، مصفر، حطام، كفّار).

فما على الباحث إلّا البحث عن معانيها المعجميّة، ثمّ ينظر في دلالاتها الممكنة والملائمة، بعدها يحدث لديه تصوّرات تجمع جميع الدّلالات التي يوحي بها هذا التّوظيف القرآنيّ، من خلالها تتشكّل الوجهة البيانيّة للنّص.

والمقام لا يسمح لدراستها كلّها هنا؛ ولكن بعد دراستي لها دراسة كليّة من خلال كلّ التّركيب² فقد تبين لي الجوانب البيانيّة التّاليّة:

– لقد عبّر القرآن الكريم في هذا النّص عن حقيقة الحياة الدّنيا، وبين أوصافها المتمثّلة في: (لعب، لهو، زينة، تفاخر، تكاثر) وبين نهايتها بأنّها (حطاما).

1 - الحديد:20.

2 - ينظر علي زواري أحمد: المثل في الخطاب القرآني، ص:181.

- كما أنّ الله تعالى عندما ذكر الأطوار التي يمرّ بها نمو الزّرع (نبات: يهيج. مصفر. حطام) يريد من وراء ذلك أطوار مراحل الحياة، ومنها الوصول إلى أطوار حياة الإنسان.

- ذكر الكُفّار في النّصّ جاء على غير الحقيقة، فيراد بهم الزّراع، وهو من المعاني المجازية، فقد عدل عن لفظ الزّراع إلى لفظ الكُفّار ليفيد دلالة جديدة على سبيل الكناية؛ فالزّارع يغطّي البذرة بالتّراب، والكافر يغطّي الحقّ بالباطل.

وعلى كلّ حال فمن خلال المعاني المعجميّة تكوّن هذا التّلوّن الجماليّ الذي له أثره في دلالة النّصّ القرآنيّ، حيث نراه ينتقل من التّوصيف إلى التّقرير إلى الإيحاء، كما ينتقل من الشّهود (الدّنيا) إلى الغيبة (الآخرة)، وكلّ هذا له أثره على المتلقّي، فيمزج بين فكره ووجدانه، وبين حياته المادّيّة والمعنويّة، وبين حركته وسكونه، وذلك أنّنا نرى من وصف الدّنيا إلى وصف الآخرة، ومن وصف النّبات في طور نموّه إلى لنهايته، وفي ذات الوقت، نرى وصف الكُفّار ووصف المؤمنين، ووصف حصاد الآخرة الذي هو بين العذاب الشّديد والرّضوان والمغفرة، في سياق منسجم ودلالات لفظيّة متناسقة، وأخرى مجازيّة على سبيل الاتساع، فيها موطن العظة والعبرة، وفق هذا التسلسل الدّلاليّ المنتظم - الذي لا غرابة فيه بين هذه الدّلالات - حيث تنبني الدّلالة الكلّيّة لهذا النّصّ ضمن منظومة الخطاب القرآنيّ.

7. مسلك البحث عن معاني الصّيغ ذي البعد النحويّ للكلمات

البحث عن معاني الصّيغ ذي البعد النحويّ للكلمات من المسالك اللّغويّة المهمّة - كذلك - التي يجب أن يستحضرها الباحث في دراسته البيانيّة عند دراسة أيّ نصّ قرآنيّ، ونقصد بذلك معرفة نوع الكلمة التي وظّفها القرآن الكريم في التّركيب من حيث النّوع والصّيغة والكيفيّة.

فمثلاً اسم الفاعل له معنى يختلف عن اسم المفعول، والمصدر له معنى يختلف عن مجرد الاسم، والأسماء كلّها تختلف عن بعضها البعض، وتختلف عن بدلها وشبيهها وعمّا ينوبها، والاسم يختلف عن الفعل، والأفعال تتباين فيما بينها؛ فالماضي له معنى، والمضارع له معنى، وكلّ واحد منها يختلف معناه عن الآخر، وقد ينوب أحدهما عن الآخر لمعنى نحويّ، والمبنيّ للمعلوم منهما يختلف عن المبنيّ للمجهول، والأمر له معنى، وقد يُوظّف أحد الأنواع بدلاً من الآخر لمعنى آخر غير المعنى الأصليّ وقد يشملها، فقد يُوظّف الماضي بدلاً من المضارع، وقد يكون العكس فيُوظّف المضارع بدل الماضي، وهكذا في غيرها من الأنواع والصّيغ تختلف فيما بينها، وتختلف في كيفيّة توظيفها في التّركيب، ولكلّ شيء منها له دلّالته داخل البنيّة التّركيبية من خلال وظيفته التي يؤدّيها بالكيفيّة التي هو عليها في النّصّ.

فمثل هذا الأمر من البديهيّات المسلّمة عند أهل اللّغة، وهي حاضرة عند الدّارس المتمكّن، أو العالم الخبير، ولكن قد تغيب على الطّالب الحدث أو الباحث المبتدئ، ومع ذلك يمكن أن يُستعان على هذا الأمر بكتب الأعراب، حيث تشير لذلك في نكتها الإعرابيّة، فتحدّد الجمل وأنواعها، وتوضّح صيغ المباني، وتشير للفعل وقسمه والاسم وشكله، وتلفت النّظر للبدايل والأشباه، وتبيّن الظّاهر والمضمّر، والمتّصل

والمنفصل، والمقدّر وغير المقدّر...، والدّارس للنّصّ القرآنيّ يكفيه عن كتب الأعراب المختلفة بكتب إعراب القرآن الكريم التي تضعه مباشرة مع النّصّ المدروس، وبهذا يتجلى للباحث الأنواع والصّيغ والكيفيات التي تهديه لمعانيها النّحويّة، وما ينقصه في كلّ ذلك إلّا معرفة تلك المعاني والدّلالات ليتمكّن من بلوغ الجانب البيانيّ من الدّراسة.

فهذه الأخيرة قد تشير لها كتب إعراب القرآن الكريم وتبيّن النّكتة من توظيفها، فمثلا تشير لماذا جاء الفعل مبنيّ للمجهول ولم يأت مبنيّ للمعلوم؟ أو لماذا جاء الفعل الماضي ولم يأت المضارع؟ أو لماذا عبّر النّصّ بالاسم ولم يعبر بالفعل؟ أو لماذا جاء الحرف مكان غيره؟ وهكذا، كما أنّ المفسرين قد يسيروا لذلك في بيان دلالات الآيات في بعض المواطن، وهذا كلّ عامل مهمّ ومساعد في معرفة المعنى النّحويّ للكلمة، ونفس الشّيء مع كتب اللّغة المختلفة قد تتعرض لبعض النّصوص القرآنيّة في مباحثها اللّغويّة قد يهتدي لها الباحث وقد لا يهتدي، ومع ذلك يبقى على الباحث أن يتمكّن من معرفة تلك المعاني من كتب اللّغة والنّحو، خاصّة التي تتكلّم عن معاني أنواع الكلمات والحروف وكيفيّة توظيفها قصد معاني مرادة للمتكلم، وبهذا تحصل المكنة المعرفيّة للباحث وتُسقل بالخبرة والدّربة.

وقبل أن نختم هذا المسلك نعطي نموذجا قرآنيّا على ذلك حتّى يتّضح كيف أنّ البحث عن المعنى النّحويّ الموحى من صيغ الكلمات يُسهم في إثراء الدّراسة البيانيّة للنّصّ القرآنيّ، قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾¹، هذا النّصّ القرآنيّ جاء جملة اسميّة، ومعلوم في النّحو أنّ معنى الجملة الاسميّة يختلف عن معنى الجملة الفعلية، وأنّ الاسم يختلف عن الفعل، فلكلّ منهما معناه واستعمالاته، فكلمة "وجزاء" التي تصدرت النّصّ اسم ظاهر، وإعرابها: الواو عاطفة، جزاء مبتدأ، والجملة استئنافية².

وحثّى نوضّح المعنى النّحويّ للجملة الاسميّة في هذا النّصّ القرآنيّ كان لزاما علينا أن نذكر أنّه بعد أن ذكر الله تعالى صفات أهل النّار وأسباب استحقاقهم للعذاب، ذكر عقوبتها ثلاث جمل اسميّة، تتحدث عن صفات أهل الجنّة وما أهلهم للنّعيم والثّواب، فكان المناسب بعد ذكر مواصفات أهل الجنّة أن تأتي الجملة التي تقرّر الثّواب والعقاب اسميّة تبعا للمعنى المراد تقريره، فكانت هذه الجملة الاسميّة، ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾، فهذا النّصّ جاء لتقرير قاعدة ثابتة ودائمة، في الحساب الأخرويّ، وهي أنّ من جاء بالسّيئة فلا يُجزى إلّا بسّيئة واحدة، وذلك مقتضى العدل الإلهيّ كما قرّره آيات أخرى والتي منها، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾³. لهذا كان المناسب لدوام القاعدة وثبوتها أن تكون الجملة اسميّة، وذلك لما يحمله الاسم من الثّبوت والدّوام والاستمرار، بعكس الفعل الذي يفيد التّجدّد والحدوث والتّغيّر.

1 - الشّوري: 40.

2 - ينظر الدّعاس أحمد عبيد: إعراب القرآن، 9/ 44.

3 - غافر: 40.

8. مسلك البحث عن الوظائف النحوية للتركيب

من أهم المسالك اللغوية التي يجب أن يستحضرها الباحث في دراسته البيانية هو البحث عن الوظيفة النحوية للكلمة داخل التركيب النصي، بمعنى معرفة الحالة الإعرابية للكلمات داخل الجملة، فالتركيب فيه ما هو أساسي كالمسند والمسند إليه، فهما أصل الجملة والمكوّن العمدة لها، ومن غيرهما لا يكون للجملة معنى مفيد، كما أنّ المسند والمسند إليه قد يكونان على صيغة جملة فعلية، وقد يكونان على صيغة جملة اسمية والوظيفة تختلف من هذا لهذا، ومنه ما هو ثنائي يضفي على التركيب معنى أو معاني زيادة على المعنى الأصلي، وقد لا يمكن الاستغناء عنه كون المعنى الأصلي مرتبط به.

فبمعرفة وظيفة الكلمة داخل الجملة يتعرّف الباحث على ما هو من أصل الجملة وما هو غير ذلك، كالفضلة¹؛ مثل المفعول به والظرف والمفعول له والمفعول معه والمصدر والحال والتّمييز والاستثناء، وغيرها، فهي ليست عمدة في الكلام؛ ولكنها تضفي عليه معنى، وقد يكون العمدة مرتبطاً بذلك، وقد يعتري كلّ ذلك الذّكر والحذف، والتّقديم والتّأخير... ما يستوجب على الباحث البياني معرفة الوظيفة النحوية للكلمة أو للنصّ كلّ المراد دراسته حتّى تتجلّى له الدّلالة، وهكذا هو الكلام العربيّ معناه مبنيّ على معرفة الوظائف النحوية، ومن دونها يصعب تفهّم المعنى.

وقد ضرب الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز العديد من النّماذج، منها الاستعمالات المختلفة للتّقديم والتّأخير، والفرق بينها في إحداث المعنى، وكذا الجملة الفعلية والاسمية، والجملة الخبرية عندما تكون اسمية أو فعلية، أو الخبر بين التّنكير والتّعريف، ومثل ذلك قضية الذّكر والإظهار، والحذف والإضمار... فكلّ وجه من هذه الوجوه - وغيرها - يحمل معه معنى يختلف عن الآخر، لذا فإنّ التّوظيف المناسب لذلك ينبع من معاني النّحو التي تفرّق بين هذه الحالات.

وهذا الأمر يمكن الاستعانة عليه بما عند الباحث من إمكانيّات نحوية، تمكّنه من فهم الكلام العربيّ من غير تكلف، حيث يستطيع بقدراته اللغوية ومعرفته بالمضام النحوية من مصادرها تمييز الكلام وإدراك وظائفه بعضها من بعض، فيتيسّر عليه الوصول للمعاني والدلالات بأيسر الطّرق، ويستعين بذلك على دراسته البيانية ومن غير التّصريح بذلك، كونه من البديهيّ المسلّم به بالنسبة إليه، لكن هذا لا يتيسّر لكلّ الدّارسين والباحثين، وخاصّة الطّلبة والمبتدئين الشّيء الذي يدفعهم للاستعانة بغيرهم، والرّجوع للمصادر والمراجع الكفيلة بتحقيق هذا الغرض.

1 - الفضلة: هي اسمٌ يُذكرُ لتتّميم معنى الجملة، وليس أحدَ زُكّمتها - أي ليس مُسنداً ولا مُسنداً إليه - كالنّاس من قولك "أرشد الأنبياء الثّامن". (فأرشد مسند. والأنبياء منسند إليه؛ والنّاس فضلة، لأنّه ليس مسنداً ولا مسنداً إليه، وإنّما أتى به لتتّميم معنى الجملة. وسمّيت فضلة لأنّها زائدة على المسند والمسند إليه، فالفضل في اللّغة معناه الزّيادة). ينظر الغلاييني مصطفى بن محمّد سليم: جامع الدّروس العربيّة، 30/1.

ومن تلك المصادر والمراجع المتعلقة بالنص القرآني يمكن للباحث أن يستعين في معرفة الوظائف النحوية لأي تركيب قرآني بكتب إعراب القرآن الكريم، إعراب القرآن للدعاس، أو إعراب القرآن العظيم لذكريا الأنصاري، أو مشكل إعراب القرآن لمكي، أو إعراب القرآن للزجاج، أو إعراب القرآن للنحاس، أو الجدول في إعراب القرآن الكريم لصافي، أو إعراب القرآن وبيانه لدرويش، وغيرها من كتب إعراب القرآن الكريم.

كما يمكن للباحث أن يستعين بكتب التفسير، وخاصة التي فيها إشارة لذلك حتى يتمكن الباحث من معرفة المعنى النحوي للجملة من خلال وظيفة كل كلمة داخل التركيب، ومن كتب التفسير المهمة في هذا الجانب تلکم التفاسير التي اهتمت بالجانب اللغوي، كتفسير الكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير ابن عطية، وتفسير الألوسي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وغيرها من كتب التفسير التي تتعرض للجوانب اللغوية.

وقبل أن نختم هذا المسلك نعطي نموذجاً قرآنياً على ذلك حتى يتضح كيف أن البحث عن الوظائف النحوية يسهم في إثراء الدراسة البيانية للنص القرآني، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾¹، نلاحظ في هذا التركيب القرآني حذف المبتدأ للأخبار الثلاثة التالية: (صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ)، فكل واحدة من هذه الأخبار الثلاثة هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هم"².

فلفظ "هم" المقدّر وظيفته أنه مبتدأ، والألفاظ "صم، بكم، عمي" وظيفتها أنها أخبار، ولا ريب أن ذكر الأخبار متتالية ومن غير عطف بينها، وحذف المبتدأ يسهم في دلالة النص، وله تأثير في بنيته التركيبية، كون المبتدأ عمدة في الجملة الاسمية يتوقف عليه مضمون بنية التركيب؛ لأنه الركن الأساسي فيها، فهو المسند إليه، وما حذف إلا لفائدة، كما أن ذكر الأخبار وتتاليها ومن غير عطف بينها يثبتها جميعاً في حق من وصفوا بها، يقول ابن عاشور: «أخبار لمحذوف على طريقة الحذف المعبر عنه في علم المعاني بمتابعة الاستعمال بعد أن أجرى عليهم التمثيل»³.

والمعنى أن الله تعالى في هذا المثل يبين حال هؤلاء الكفار في تقليدهم الأعلى لأبائهم كمثال الهائم التي تنعق ولا تسمع ولا تعي إلا صوتها، ولا تعي ولا تفقه ما يقال لها، فهم كذلك بتقليدهم صاروا بمنزلة الصم في أن الذي سمعوه كأنهم لم يسمعوه، وبمنزلة البكم في أن لا يستجيبوا لما دعوا إليه، وبمنزلة العمى من حيث أنهم أعرضوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها، هكذا يرصد المثل من خلال تلك الأوصاف حركة أفعالهم وخلجات نفوسهم، قصد بيان حقيقتهم، يقول ابن عاشور: «أريد إثبات انعدام الإحساس

1 - البقرة: 171.

2 - ينظر صافي محمود بن عبد الرحيم: الجدول في إعراب القرآن، 2/ 340. ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 239.

3 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، 2/ 113.

منهم عبّر عنها بهذه الأوصاف تهكّماً¹. لأنّهم يستحقّون ذلك فلا قيمة لهم، كما أنّه لا قيمة للبهائم، لهذا ختم الله على قلوبهم، وجعل على أسماعهم وأبصارهم غشاوة، قال الرّازي: «فاعلم أنّه تعالى لما شابههم بالبهائم زاد في تبكيّتهم»².

كلّ هذا تماشياً مع أسلوب المثل القرآنيّ أنّه يعود للمُتملّ له بعد تصوير المثل، وذلك إظهار وإبراز لحقيقته، حتّى ترسخ الصّورة المرسومة المتوخّاة من ضرب المثل، لذا ناسبهم الحذف فهو الأليق بهم، فهو يليق بالذين يسمعون الهدى ولا يفهمونه ولا يدركون نفعه، وليس مجرد حذف واحد؛ بل ثلاث مرات متتالية، ما يبيّن لك مدى إهانتهم وتصغيرهم وتحقيرهم، فلا يصلح معهم حتّى الإنابة بالضّمير المتّصل أو المنفصل، لأنّ في ذكرهم إشادة بحالهم، وتقيّما لهم وهم ليسوا أهلاً لذلك... وبهذا تتناغم وتنسجم البنية التركيبيّة لهذا النّصّ القرآنيّ، وتتماسك وحدتها بعد هذا الحذف، لنشهد البنية العميقة كيف تبرز بجلاء لتوضّح حقيقة الكافرين الذين أغلقوا منافذ الإدراك عندهم فنالوا جزاءهم الصّارم القويّ الذي لا اعتبار لهم بعده³.

9. مسلك معرفة الأسلوب البلاغيّ الذي وظّفه القرآن

المسلك الأخير في بحثنا، هو معرفة الأسلوب البلاغيّ الذي وظّفه القرآن الكريم في النّصّ محلّ الدّراسة البيانيّة، وقد تكلمنا عن المسالك النّحويّة ونختم بالمسلك البلاغيّ، وما بينهما هو تبع لهما، وذلك أنّ النّحو تركيب هدفه السّلامة والاستقامة، والبلاغة أسلوب هدفها الجودة والإبداع، والنّصّ يجمع بينهما، فهو تركيب وأسلوب، وكما قيل فإنّ البلاغة تبدأ من حيث ينتهي النّحو، لذا أردنا أن نجتمع المسالك بمبتدئها ومنتهائها في بحثنا هذا.

لا نطيل الكلام في هذا المسلك، وما نوّد قوله هو أنّ الباحث لا بدّ وبالضرورة أن يحيط بالبلاغة علماً في دراسته البيانيّة، ومن غير البلاغة سيخبط خبط عشواء، فالقرآن الكريم كلام عربيّ نزل على أساليب العرب وأفانيتها في الكلام، ومعرفة ذلك يفيد الباحث في معرفة الكلمات والتراكيب التي وظّفت على الحقيقة والتي وظّفت على المجاز، كما يعرف الباحث أصل الجملة وتكوينها من المسند والمسند إليه، والخبر والإنشاء، ويعرف المحسنات التي تضيف على الكلام معاني إضافية بها يتحسنّ الكلام، وهذا كلّه وغيره يحدّد الأسلوب الذي من خلاله جاء النّصّ القرآنيّ، وبذلك يتّضح المعنى المراد للكلمة أو للكلمات أو للتركيب كلّها.

ويستعان على هذا الأمر بكتب البلاغة التي تعين الباحث على فهم الأساليب البلاغيّة وأغراضها، ومتى تكون على أصلها ومتى تخرج عليه لأغراض بلاغيّة، كما يمكن للباحث أن يستعين مباشرة من كتب

1 - محمّد الطّاهر بن عاشور: التّحرير والتنوير، 2/ 113.

2 - محمّد، الرّازي: مفاتيح الغيب، 5/ 190.

3 - ينظر: علي زواري أحمد: المثل في الخطاب القرآنيّ، ص: 105 - 107.

التفسير، وخاصة التي تلتفت للمباحث البلاغية، وتستخرج أساليبها، وتشير إليها من خلال التفسير، ومع ذلك يحتاج الباحث للمؤلفات البلاغية ليكون على علم ودراية بالفن البلاغي حتى يتمكن من توظيفه في دراسته البيانية.

ونختم المسلك بنموذجين من النص القرآني يوضحان لنا أهمية هذا المسلك، كونه سبيلا لفهم معنى الكلام، فمثلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾¹، ففي الآية قصر وتقديم وتأخير، وهما من المباحث البلاغية في علم المعاني. وعندما نرجع لتركيب الكلام في العربية فإن أصل الكلام في تركيب الجملة العربية يقتضي تقديم الفاعل على المفعول به، وتقديم الفعل على الفاعل، وفي نصنا القرآني الذي بين أيدينا لو رتبنا على الأصل يصير الكلام: (إنما يخشى العلماء - من عباده - الله) ومهذين التركيبين يختلف المعنى، فيكون التركيب الأول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقتضي انحصار خشية الله على العلماء، والتركيب الثاني: (إنما يخشى العلماء من عباده الله) يقتضي انحصار خشية العلماء على الله²، وعليه فكل من الجملتين لها معنى يختلف عن المعنى الآخر. فإذا أحرنا الفاعل نفينا الخشية من غير العلماء، وإذا قدّمنا الفاعل نفينا الخشية أن تتعلق بغير الله تعالى، ولا ريب أن المراد هو المعنى الأول.

والتنمذج الثاني في أهمية معرفة الأسلوب البلاغي الذي وظّفه القرآن ودوره في فهم وتجليّة دلالات النصّ القرآني، قوله تعالى في ميثاق بني إسرائيل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾³. في هذا النصّ القرآني نلاحظ حكما شرعيا عقديا يتمثل في النهي عن عبادة غير الله، لكن النصّ دلّل على هذا الحكم بصيغة بلاغية أبلغ في الدلالة من مجرد النهي الصريح، حيث انتقلت به لدلالات أخرى تضيف عليه بعدا آخر - وهو الانتهاء المزامن للنهي مع الانتهاء اللاحق له - الذي لا يمكن أن يكون بالنهي المجرد الصريح، لأنّه لا يحمل إلّا دلالة الانتهاء اللاحق.

بيان ذلك أن قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ورد في سياق الكلام - الذي خاطب الله به بني إسرائيل - بصيغة الخبر في معنى النهي، وهو من المجاز المرسل في اللفظ المركب، الذي هو أبلغ من صريح النهي، لما فيه من إبهام أن المنهي حقّه أن يسارع إلى الانتهاء؛ فكأنّه انتهى عنه مزامنة مع الإخبار عنه، لذا كان مجيئه بصيغة الخبر لبلاغته مع أنّه أراد به النهي⁴.

1 - فاطر: 28.

2 - ينظر يوسف، السّكاكي: مفتاح العلوم، ص: 300.

3 - البقرة: 83.

4 - ينظر محمد علي، الصّابوني: صفوة التفاسير، 66/1.

وهكذا من خلال الأسلوب البلاغي المستعمل في النصّ القرآنيّ يمكننا فهم المراد من النصّ على الوجه الأسلم، وبعده يسهل علينا التعاطي مع الدّراسة البيانيّة وبناء التّصوّرات عليها على قاعدة صحيحة وسليمة.

10. خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث الذي يمكن أن نوجزه في نقاط مختصرة، حيث تكلمنا فيه عن المسالك اللّغويّة المساعدة على الدّراسة البيانيّة للنّصّ القرآنيّ، وقد بدأناه بالحديث عن أبرز المفاهيم المتعلّقة بالنّصّ القرآنيّ والدّراسة البيانيّة، وذلك كتمهيد للموضوع، ثمّ عرضنا فيه أهمّ المسالك اللّغويّة المساعدة، وفي خاتمة البحث خلصنا للنتائج التّالية:

- الدّراسة البيانيّة المتعلّقة بالنّصّ القرآنيّ يجب أن تكون خاضعة للّغة؛ إذ لا يمكن للباحث أن يلج هذا الميدان من غير الاستعانة بالّلغة، فالقرآن نصّ لغويّ ولا يُفهم إلّا من خلال لغته التي نزل بها، وكما فهمها العرب واستعملوها.

- الدّراسة البيانيّة المتعلّقة بالنّصّ القرآنيّ يجب أن تكون مراعية لخصوصيّات النّصّ القرآنيّ، فهو وإن كان نصّاً لغويّاً فهو في ذات الوقت له خصوصيّاته التي أنزله الله بها، ليكون رسالة تهدي البشريّة الحائرة، ومعجزة تُنبئ بصدق تلك الرّسالة الخاتمة.

- على الباحث في الدّراسة البيانيّة للنّصّ القرآن أن يتزوّد بعلوم اللّغة المختلفة، من نحو وبلاغة، وفقه اللّغة، والمعجميّة... فتلكم هي الآليات التي يمكنه بها أن يقتحم حتى الدّراسة اللّغويّة للنّصّ القرآنيّ، ومنها الدّراسة البيانيّة التي تستوعب كلّ ذلك.

- الدّراسة البيانيّة للنّصّ القرآنيّ هي بيان لما يُوجي به النّصّ المُوحى من معاني ودلالات يمكن أن نستكشفها من خلال الدّراسة البيانيّة، فهي بمثابة التّفكير والتّدبر في النّصّ القرآنيّ الذي أمرنا به، وليس مجرد نصّ تراثيّ يمكن أن نخمّن فيه على وفق أفكارنا وتصوّراتنا وايدولوجيّاتنا من غير مسالك تضبطنا في دراستنا.

11. قائمة المراجع

- أحمد عبيد الدّعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم: إعراب القرآن، دار المنير ودار الفارابي - دمشق، الطّبعة: الأولى، 1425هـ.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفّى: 1424هـ): علم الدلالة، عالم الكتب - القاهرة، الطّبعة الخامسة: 1998.
- بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله الزّركشيّ (المتوفّى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، المحقّق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركائه، الطّبعة: الأولى، 1376هـ- 1957م.

- صافي محمود بن عبد الرحيم (المتوفى: 1376هـ): الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ.
- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية أبو محمد الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
- علي زواري أحمد: المثل في الخطاب القرآني واللسان العربي الفصيح، مقارنة في البنية والأسلوب، رسالة دكتوراه علوم، إشراف: أ. د، أحمد بلخضر، جامعة: قاصدي مرباح - ورقلة، السنة الجامعية للمناقشة: 2019/2018.
- عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة: 1423 هـ.
- محمد بن أبي بكر أيوب الزري أبو عبد الله ابن القيم: بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1416 - 1996.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة: 1984م.
- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997م.
- محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ): مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م.

- مصطفى درويش ومحيي الدين بن أحمد (المتوفى: 1403هـ): إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415هـ.
- مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: 1364هـ): جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، 1414 هـ - 1993م.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1421هـ - 2000م.
- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987م.

12- Bibliography List

- Ahmad Obaid Al-Daas - Ahmad Mohammed Hamidan - Ismail Mahmoud Al-Qasim: I'rab Al-Quran, Dar Al-Monir and Dar Al-Farabi - Damascus, Edition: First, 1425 AH.
- Ahmed Mokhtar Abd El-Hamid Omar (died: 1424 AH): Semantics, World of books - Cairo, Fifth Edition: 1998.
- Badr El-Din Mohammed ben Abd Allah ben Bahadur Abo Abd Allah Al-Zarkashi (died: 794 AH): Al-Borhan in the Sciences of the Quran, Investigator: Mohammed Abo Al-Fadhel Ibrahim, Dar Revival of Arabic books Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners, Edition: First, 1376 AH - 1957 AD.
- Safi Mahmoud ben Abd El-Rahim (died: 1376 AH): Table in the grammar of the Quran, Dar Al-Rasheed, Damascus - Al-Iman Foundation, Beirut, Edition: Fourth, 1418 AH.
- Abd El-Hak ben Ghaleb ben Abd El-Rahman ben Tamam ben Atia Abo Mohammed Al-Andalossi Al-Maharbi (died: 542 AH): The Concise Editor in the Interpretation of the Noble Book, Investigator: Abd El-Salam Abd El-Shafi Mohammed, Dar Scientific books - Beirut, Edition: First - 1422 AH.
- Abd El-Rahman ben Abi Baker, Jalal El-Din al-Suyuti (died: 911 AH): Mastery in Quranic Sciences, Investigator: Mohammed Abo Al-Fadhel Ibrahim, Publisher: Egyptian General Book Authority, Edition: 1394 AH / 1974 AD.
- Ali Zouari Ahmed: The proverb in the Quranic discourse and the eloquent Arabic language, an approach in structure and style, PhD thesis in sciences, Supervisor: Prof. Dr. Ahmed Belkhader, University: kasdi Merbah - Ouargla, Academic year of discussion: 2018/2019.

- Amro ben Baher ben Mahbob al-Kinani belouila, al-Laythi, Abo othman, known as al-Jahidh (died: 255 AH): Statement and clarification, Dar and Library of Al-Hilal, Beirut, Year: 1423 AH.
- Mohammed ben Abi Baker Ayoub Al-Zarii Abo Abd Allah: The wonders of benefits, edited by: Hisham Abd El-Aziz Atta - Adel Abd El-Hamid Al-Adaoui - Ashraf Ahmed, Nizar Mostafa Al-Baz Library - Makka Al-Mokarrama, first edition, 1416 - 1996.
- Mohammed Al-Taher ben Mohammed ben Mohammed Al-Taher ben Ashour Al-Tunisi (died: 1393 AH): Al-Tahrir and Al-Tanouir "Liberating the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Tunisian House for Publishing - Tunisia, year: 1984 AH.
- Mohammed Ali Al-Saboni: Safouat Al-Tafasseer, Al-Saboni House for Printing, Publishing and Distribution - Cairo, first edition, 1417 AH - 1997 AD.
- Mohammed ben Omar, nicknamed Fakher al-Din al-Razi (died: 606 AH): Mafatih al-Ghayb, Dar of Arab Heritage Revival - Beirut, Edition: Third - 1420 AH.
- Mohammed ben Yossef, known as Abu Hayyan al-Andalossi: Al-Bahher al-Mohhit, edited by: Sheikh Adel Ahmed Abd el-Mawjoud - Sheikh Ali Mohammed Moaouadh, participated in the edit; Dr. Zakaria Abd el-Majeed al-Nokki, Dr. Ahmed al-Najolli al-Jamal, Publishing House: Dar Scientific books-Lebanon/Beirut - Edition: First, 1422 AH - 2001 AD.
- Mostafa Darouish and Mohyi al-Din ben Ahmed (died: 1403 AH): I'rab al-Quran and Bayanoh, Dar Guidance for University Affairs- Homs - Syria, (Dar al-Yamama - Damascus - Beirut), (Dar Ibn Kathir - Damascus - Beirut), Edition: Fourth, 1415 AH.
- Mostafa ben Mohammed Salim al-Ghalayini (died: 1364 AH): Jami' al-Dorross al-Arabiya, Modern Library, Sidon - Beirut, Edition: Twenty-eighth, 1414 AH - 1993 AD.
- Mannaa al-kattan, Researches in the Sciences of the Quran, Al Maaref Library for Publishing and Distribution, Edition: Second, 1421 AH - 2000 AD.
- Yossef ben Abi Bakker ben Mohammed ben Ali al-Sakaki al-Khouarizmi al-Hanafi Abo Yakoub (died: 626 AH): Miftah al-allomm, edited, annotated and commented on by: Naim Zarzzor, Dar Scientific books, Beirut - Lebanon, second edition, 1407 AH - 1987 AD.